

## بايزيد الانصارى

(٤)

مذهبه فى التصوف

للدكتور مير ولى خان المسعودى

قبل ان اتناول بالبحث مذهب بايزيد فى التصوف أرى من المستحسن أن أتحدث عن التصوف بالاختصار واعطى فكرة عامة عن بدئه و رقيه فى العصور المختلفة لنقدر بذلك ان نعين مقام بايزيد فيه وان نحدد مسلكه الخاص فى هذا العالم السرى الذى لا يدرك اسراره سوى القائمين بالرياضة النفسية و الباحثين عن حقائقه .

يرى الباحث المحقق ان التصوف قد وجد قبل الاسلام بقرون و خاصة عند قساوسة الاسكندرية و سوريا و غيرها من المدن التى كانت المسيحية منتشرة فيها كما وجد التصوف عند المسلمين منذ ظهور الاسلام ذلك ان النبى عليه السلام كان يقوم بالرياضة نفسية و يعتكف فى غار "حراء" بعيدا عن شغب "مكة" و يناجى و يفكر هناك فى الكون و خالقه حتى أتى الوحي إليه من عند الله تعالى . و كان الصحابة ايضا يقومون بالرياضة نفسية و يعتكفون فى المسجد يذكرون الله ليلا و نهارا بل أن بعضهم وهبوا انفسهم لعبادة الله و جلسوا فى المسجد و تركوا الدنيا وما فيها و هم "اهل الصفة" .

و لكن التصوف لم يكن فى عهد النبى عليه السلام مذهباً مستقلاً له اصول و فروع خاصة تدرس و تشرح اذ كانت الصحابة رضى الله عنهم ياخذون القرآن والسنة مباشرة عن النبى عليه السلام راغبين

عن الدنيا ومتاعها غارقين في الدين وعبادة الله ليلا ونهارا .

وكان عهد الخلفاء الراشدين كعهد النبي عليه السلام حيث بقي المسلمون ثابتين بالدين متمسكين بالقرآن والسنة . و لما كانت الخلافة الاموية سياسية اكثر منها دينية قل اقبال الناس على الدين و اموره وكثر شغفهم في الدنيا وامورها من السياسة والتجارة والصناعة و جمع الهال بطرق شتى واشتد تنافسهم في الخلافة و مناصبها سواء ا كان في داخل الجزيرة او في البلاد المفتوحة . فكانت نتيجة هذا التحول عن الدين و ذلك الغلو في الدنيا و متاعها ظهور طائفة خاصة التي لم ترغب في الدنيا و لم تنافس في الخلافة و مناصبها بل وقفت نفسها و ما تملك لله تعالى و كان همها الاول والآخر هو رضاء الله و رسوله . كانت هذه الطائفة تزدرى الدنيا و تحقر طلابها بل كانت ترغب عن الدنيا و تزهد فيها وتقول : ”الدنيا جيفة و طلابها كلاب“ .

وجدت هذه الطائفة اولا في البصرة والكوفة ثم انتشرت منها الى خراسان والبلاد الأخرى و من ائمة هذه الطائفة : حسن البصرى المتوفى ١١٠ هـ - ٧٦٨ م الذي رأى ان الزهد والتقشف كان عمل الانبياء و ابراهيم بن ادهم ولى عهد بلخ المتوفى ١٢٠ هـ - ٧٧٧ م الذي ترك الملك و خرج في طلب الوطن و رابعة العدوية البصرية الاصل المتوفية ١٨٥ هـ - ٨٠١ م التي استغرقت في حب الله تعالى الى درجة انها قالت في جواب النبي عليه السلام عند ما سألها في النوم عن حبه لها : ”من لا يحبك يا نبي الله و لكن حب الله استولى على حتى انه لم يبق في قلبي الحب والبغض لغيره تعالى“ . و شقيق البلخي المتوفى (١٩٤ هـ - ٨١٠ م) الذي توكل على الله و وهب جميع ما يملك للفقراء وبدأ يروض النفس و ابويزيد البسطامي المتوفى ٢٦١ هـ - ٨٠٥ م الذي سكر بحب الله حتى انه وجد ذاته في ذاته تعالى فقال : ”سبحاني ما اعظم شاني“ و ابوالقاسم الجنيد البغدادي المتوفى ٢٩٨ هـ - ٩١٠ م تلميذ الحارث بن

اسد المحاسبي المحدث الكبير المتوفى ٥٢٤٣ هـ - ٨٣٧ م وابوالقاسم  
الجنيد البغدادي هذا هو الذي قال بالفناء .

نظرت هذه الطائفة الى الله تعالى نظرة حب و مودة ولم تنظر اليه  
بنظرة الخوف والرعب منه كما كان المسلمون في صدر الاسلام والقرنين  
التاليين اذ كانوا لا يذكرون الله الا اخذهم الخوف والرعب وخاصة  
عند ما كانوا يقرأون آيات العذاب والخوف والترهيب .

اخذت هذه الطبقة وهي طبقة الصوفية في اوائل القرن الثالث  
الهجري صورة خاصة و نهجت طريقا خاصا بها اذ طفقت تزهد في الدنيا  
ولذاتها و التجأت الى الله تعالى متوجهة اليه بكل خواصها واختارت  
لنفسها حياة التقشف والتجلد و فضلت أكل الخبز الجاف على الاطعمة  
اللذيذة و شرعت تلبس الصوف واللباس المرقع امتيازاً لها عن سائر  
الناس و بدأت تروض النفس وتصفيها بقله الاكل والشرب والنوم وكثرة  
السهر والتسبيح والذكر لذلك أطلق على هذه الطبقة "اسم الصوفية"،  
المشتق من الصوف او من الصفوة . كانت هذه الطبقة في بداية الامر  
تعتزل الناس و تزهد في الدنيا و تروض النفس بالتسبيح والذكر والعبادة  
الدائمة ثم جعلت تكون لنفسها مذهباً خاصاً بها و لم يأت القرن السادس  
الهجري حتى اخذت الصوفية - و في مقدمتهم الشيخ الاكبر محي الدين  
بن عربي المتوفى ٥٦٣٨ هـ . ١٢٤٠ - تفسر الدين الاسلامي بأسلوبها الخاص  
وتؤول في الايات القرآنية والاحاديث النبوية تاويلاً لم يصل اليه  
عقل عامة الناس فاصبح مذهبهم عميقاً و معقداً لم يستطع الرجل العادي  
ان يفهمه ولم يقدر العالم ان يصل اليه الا بعد جهد النفس والتفكير  
العميق كما يجد القارى هذه الظاهرة واضحة جلية عند ما يقرأ "فصوص  
الحكم" لابن عربي المذكور آنفا .

ولا يبعد ان التصوف الاسلامي قد تأثر الى حد كبير بالفلسفة  
اليونانية والتصوف الهندي والاديان الاخرى المجاورة للعرب

كالمسيحية في الشام واليهودية في اليمن والزرداشتية في العراق وبلاد الفرس وغيرها اذ تم الاختلاط بين العرب و بين معتنقى هذه الديانات في القرن الثاني والثالث و ترجمت الفلسفة اليونانية كما ترجمت الثقافات الاخرى التي كانت موجودة عند اهل هذه البلاد المفتوحة قبل دخولهم في الدين الاسلامى . لذلك رأى بعض العلماء ان التصوف الاسلامى هو ايجاد الفلسفة اليونانية ، بينما قال البعض الآخر انه نواة الدين المسيحى . في حين ان فريقا من المحققين يميلون الى ان التصوف الاسلامى قد اخذته العرب من الهنود كما اخذت العرب الفلسفة من اليونان اذ كان التصوف شائعا رائجا بين الهنود قبل الاسلام بقرون و لم يظهر عند العرب الا بعد فتح البلاد الهندية و اختلاطهم باهل تلك البلاد .

و على كل حال سواء ا كان التصوف الاسلامى ايجاد الفلسفة اليونانية او نواة الدين المسيحى او نتاج التصوف الهندى فان الشئ الذى لا مجال للشك فيه هو ان التصوف الاسلامى قد وجد خير ملجأ فى القارة الهندية منذ دخول اهلها فى الدين الاسلامى و بدأ يترقى ويتنوع منذ القرن السادس الهجرى فاصبح فنا خاصا له طرق مستقلة اشهرها :

- ١- الجشئية : للشيخ خواجه معين الدين اجميرى المتوفى ١٢٣٥ م .
- ٢- السهروردية : للشيخ حضرة شهاب الدين السهروردى المتوفى ١٢٣٤ م .
- ٣- القادرية : للشيخ عبدالقادر المتوفى ٥٦٢/١١٦٦ م .
- ٤- النقشبندية : للشيخ خواجه النقشبندى المتوفى ٥٧٩/١٣٨٨ م .

و ظل هذا التصوف الاسلامى فى هذه القارة فى أوج و ترقى الى يومنا هذا و لم يتخلله ضعف و لم يتطرق اليه و هن فى وقت من الاوقات مع انه وجد معارضة شديدة فى جميع العصور من العلماء الذين ينظرون الى ظاهر الشرع ولا يجهدون انفسهم بالرياضة الروحية حتى تمكنهم النظر الى الحقائق الكونية فلا يرون الا الله ولا يحسبون لغير الله حسابا كالصوفية الذين جعلوا مدى نظرهم هو الله وحده فلا ينظرون الى الشئ إلا يرون فيه الله بل انهم نسوا كل شئ حتى انفسهم و فنوا فى ذكر الله حتى تراءى لهم انهم يشاهدون الله تعالى وجها لوجه .

اذن اتضح من الكلام السابق ان التصوف الاسلامى ظهر اولا بصورة مذهب مستقبل فى البصرة والكوفة ثم انتشر فى خراسان تلك البلاد التى انبعثت منها الخلافة العباسية و التى اصبحت مركزا للانقلابات السياسية و مصدرا للعلوم الدينية و خاصة مدينة "نيسابور" التى كنت منبع العلم والثقافة الاسلامية و منها انتشرت تلك العلوم بما فيها التصوف الاسلامى فى القارة الهندية .

و كان التصوف الاسلامى فى بداية الامر ترك الدنيا و ترويض النفس و محبة الله والعزلة والذكر ثم ترقى الى الفناء فى الله—وهو ان يفنى السالك ذاته فى ذات الله فلا يرى شيئا سوى ذاته تعالى—و قد بلغ الذروة بمجهودات بن عربى الذى نادى بوحدة الوجود واستدل لذلك بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية و اول بعض الآيات القرآنية لاثبات قضيته تلك و كانت القضية الكبرى عند ابن عربى مسألة وحدة الوجود كما قال الدكتور ابوالعلا عفيفى فى مقدمته "لفصوص الحكم" :

والقضية الكبرى التى تعبر عن مذهبه و حولها تدور كل فلسفته الصوفية و تنفرع عنها كل قضية اخرى التى ملكت

عليه زمام تفكيره فصدر عنها و عاد اليها في كل ما قاله و ما أحس به هي ان الحقيقة الوجودية واحدة في جوهرها و ذاتها متكثرة بصفاتهما و اسمائها لا تعدد فيها الا بالاعتبارات والنسب والاضافات . وهي قديمة ازلية ابدية لا تتغير و ان تغيرت الصور الوجودية التي تظهر فيها . فهي بحر الوجود الزاخر الذي لا ساحل له وليس الوجود المدرك المحسوس الا امواج ذلك البحر الظاهرة فوق سطحه . فاذا نظرت اليها من حيث ذاتها قلت هي "الحق" و اذا نظرت اليها من حيث صفاتها و اسمائها اي من حيث ظهورها في اعيان الممكنات قلت هي "الخلق" او العالم . فهي الحق والخلق والواحد والكثير والقديم والحادث والاول والآخر والظاهر والباطن و غير ذلك من المتناقضات التي يحلو للمؤلف ان يكثر من تردادها . و هذا المذهب هو المذهب المعروف بوحدة الوجود . وقد قرره ابن عربي في جرأة و صراحة في غير ما موضع من الفصوص والفتوحات : من ذلك قوله : فسبحان من اظهر الاشياء و هو عينها :

فما نظرت عيني الى غير وجهه  
ولا سمعت اذني خلاف كلامه

ولم يكن لمذهب وحدة الوجود وجود في الاسلام في صورته الكاملة قبل ابن عربي . فهو الواضع الحقيقي لدعائمه والموسس لمدرسته والمفصل لمعانيه و مرامييه والمصور له بتلك الصورة النهائية التي اخذ بها كل من تكلم في هذا المذهب من المسلمين من بعده . و من المبالغة التي لا مبرر لها ان نذهب الى ما ذهب اليه "الفرد فون كريمر" في قوله ان التصوف الاسلامي قد تحول في نهاية القرن الثالث الهجري (يريد

عصر ابي يزيد البسطامي والبيجنيد والحلاج) الى حركة دينية انصبغت بصبغة . وحدة الوجود التي تغلغت فيه و اصحبت من مقوماته في العصور التالية . ذلك ان الاقوال المأثورة عن ابي يزيد البسطامي والحلاج بل عن ابن الفارض المعاصر لابن عربي ليست في نظري دليلا على اعتقادهم في وحدة الوجود بل على انهم كانوا رجالا فنوا في حبهم لله عن انفسهم و عن كل ما سوى الله فلم يشاهدوا في الوجود غيره وهذه وحدة شهود لا وحدة وجود . و فرق بين فيض العاطفة و شطحات الجذب و بين نظرية فلسفية في الالهيات : اى فرق بين الحلاج الذى صاح في حالة من احوال جذبه بقوله ”انا الحق“ او ابن الفارض الذى أفناه حبه لمحجوبه عن نفسه فلم يشعر الا بالاتحاد التام به فقال :

متى حلت عن قولى ”انا هى“ او اقل  
و حاشا لمثلى انها فى حلت

اقول : فرق بين هذين الرجلين و بين ابن عربي الذى يقول في صراحة لا مواربة فيها ولا لبس ، معبرا لا عن وحدته هو بالذات الالهية ولا عن فنائه في محجوبه بل عن وحدة ”الحق“ والخلق :

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا  
وليس خلقنا بهذا الوجه فادكروا  
جمع و فرق فان العين واحدة  
و هى الكثيرة لا تبقى ولا تذر

بل على افتراض ان ”انا الحق“ التى نطق بها الحلاج لم تكن صرخة جذب ولا كلمة شطح وانما كانت—كما يقول الاستاذ ”نيكولسون“—تعبيرا عن نظرية كاملة في ثنائية الطبيعة الانسانية

المؤلفة من اللاهوت والناسوت فان اقصى ما يمكن ان نصف به هذه النظرية هو انها نظرية في الحلول لا في الاتحاد ولا في وحدة الوجود .

ولكن أى صورة من صور القول بوحدة الوجود يمثلها مذهب ابن عربي انه لا شك ليس مذهبا ماديا يحصر الوجود فيما يتناوله الحس وتقع عليه التجربة ويعتبر الله اسماً على غير مسمى حقيقى على العكس هو مذهب روحى فى جملة و تفاصيله يحل الالهية من الوجود المتحل الاول و يعتبر الله الحقيقة الازلية والوجود المطلق الواجب الذى هو اصل كل ما كان وما هو كائن او سيكون . فان نسب الى العالم وجودا فهو كوجود الظلال بالنسبة لاشخاصها و صور المرايا بالنسبة للمرئيات . امام العالم فى نفسه فليس الا خيالا و حلماً يجب تأويله لفهم حقيقته . والوجود الحقيقى هو وجود الله وحده . ولذا لم يحتج وجود الحق الى دليل و كيف يصح الدليل فى حق من هو عين الدليل على نفسه . بل كيف يصح الدليل على وجود النور و به تظهر جميع الموجودات التى نحسها انما خفى الحق لشدة ظموره كالشمس تحتجب عن النظر اليها لشدة مايبه ضوءها بصره . فمذهب ابن عربي اذن صريح فى الاعتراف بوجود الله و لكنه الله الجامع لكل لشيء فى نفسه الحاوى لكل وجود الظاهر بصورة كل موجود . و غنى عن البيان ان هذا التصوير للالهية ليس التصوير الذى تصور به الاديان الشخصية الالهية : اى الذات الالهية المتصفة بصفات خاصة تميزها عن صفات الخلق . بل ان الصفة الوحيدة التى يرى ابن عربي انفراد الله بها هى صفة الوجود الذاتى التى لا قدم لمخلوق فيها .

انتشرت كتب ابن عربي فى العالم الاسلامى فوجدت اقبالا شديدا من الناس و خاصة من الطبقة الصوفية فلما بعد ان بايزيد



الانصارى درس كتب ابن عربي مباشرة او غير مباشرة . و يؤيد رأينا هذا ذكره "الفتوحات المكية" في كتابه "مقصود المومنين" و انه تأثر بمذهب ابن عربي الى حد كبير و خاصة في مسألة وحدة الوجود كما تأثر بغيره من الصوفية الذين سبقوه اذ انه جاء في مولفاته ذكر "بايزيد البسطامي"<sup>٢</sup> الذي افنى ذاته في ذاته تعالى فما كان يرى سوى ذات الله تعالى .

واما تأثره بآراء ابن عربي فهو واضح جلي في جميع مؤلفاته و يكفي ان اضرب مثلا بهذه القطعة التي قال فيها بايزيد الانصارى : "يرى الواصلون ذات الله بعين الله كما قيل : "رأيت ربي بعين ربي" . ويعرفون ذات الله بذات الله كما قيل : "عرفت ربي بربي" و يسمعون صوت الله باذن الله و يذكرون ذات الله بالذكر الذي يذكرون فيه ان الموجودات واحدة مع ذات المعبود و يقولون كلام الحق بفم الله و يعملون كل عمل يتعلق بترك الوجود و بذات المعبود حتى انهم يرون علامة هذه الآية في وجودهم : "كل شئ هالك الا وجهه"<sup>٣</sup> . و في نفس المعنى انشد ابن عربي :

فما نظرت عيني الى غير وجهه  
ولا سمعت اذني خلاف كلامه<sup>٤</sup>

على انه يمتاز عن بقية الصوفية حيث وضع منهجا خاصا لسير الصوفي و ارتقائه الروحي و هي الدرجات الثانية : الشريعة و الطريقة و الحقيقة و المعرفة و القربة و الوصلة و الوحدة و السكونة . و هذه الدرجات

- 
- ١- انظر مقصود المومنين ، ص ١٧٣ .
  - ٢- انظر مقصود المومنين ، ص ٩٧ .
  - ٣- انظر مقصود المومنين ، ص ١٨٧ .
  - ٤- الفتوحات المكية ، ج ٣ ، ص ١٠٤ .

المذكورة توجد بعضها عند غيره ولكنها لا توجد جملة بهذا الترتيب عند غيره من الصوفية . لذلك هو واضح هذه الطريقة الصوفية الخاصة التي تقوم على الرياضة العملية أكثر من قيامها على نظريات غير عملية . وبذلك كان أثر طريقته في الناس عامة وفي اتباعه خاصة واضحا جليا و كانت فائدة طريقته كثيرة جدا صرف الناس عن اللهو واللعب و حب الدنيا الى العبادة والذكر و محبة الله .

و اما تأثيره بآراء الشيخ عبدالقادر الجيلاني (٥٦١/هـ) فهو يظهر من كلام بايزيد نفسه حيث قال في جواب قاضي خان ان كتابه "خير البيان" الهام من الله تعالى كما ان "الرسالة الغوثية" كانت الهاما الى الشيخ عبدالقادر الجيلاني<sup>٢</sup> من الله تعالى . و احب ان اقدم جملا من هذه الرسالة ليرى القارى بنفسه اثرها على بايزيد الانصارى .

١- "قال عز و جل : يا غوث الاعظم قلت لبيك . قال كل طور بين الناسوت والملكوت فهي الشريعة و كل طور بين الملكوت والجبروت فهي الطريقة و كل طور بين الجبروت واللاهوت فهي الحقيقة"<sup>٣</sup> .

١- توجد هذه الرسالة تحت رقم ١٠٣٦ في مكتبة الكلية الاسلامية بجامعة بشاور في شكل مخطوطة وهي رسالة صغيرة باللغة العربية و عليها شرح باللغة الفارسية في اولها اشعار للشيخ عبدالقادر الجيلاني بعدها مكالمة بين الله وبين الشيخ عبدالقادر الجيلاني . تحتوى هذه الرسالة الغوثية على ٢٧ صفحة وانعدمت صفحاتها الاخيرة لذلك لايعرف كاتبها غير انه اظهر في اثناء الشرح انه مرید الشيخ عبدالقادر الجيلاني . و يوجد بعدها شرح لا أقوال الشيخ عبدالقادر الجيلاني .

٢- راجع حالنامه ، ص ٢٦٦ .

٣- انظر الرسالة الغوثية ، ص ٨ .

اننا وجدنا ان بايزيد الانصارى قد بين هذه الدرجات فى جميع مؤلفاته و توسع فيها فجعلها ثمانية و هى : الشريعة و الطريقة و الحقيقة و المعرفة و القربة و الوصلة و الوحدة و السكونة و شرح لطالب الحق ضرورتها و فائدتها فعرفنا ان كل واحد من الشيخ عبدالقادر الجيلانى و بايزيد الانصارى قد تحدث عن هذه الدرجات .

٢- و قال فى موضع آخر :

”قال لى يا غوث الاعظم ! ما ظهرت فى شىء كظهورى فى الانسان“<sup>١</sup>.

قال بايزيد الانصارى فى كتابه ”مقصود المومنين“ :

”قال النبى : الخليفة مظهر دعوة الحق و مظهر تجليه بصفة الداعى و الهادى يدعو الناس الى دارالسلام و هو الداعى و الهادى فيه بلسانه“<sup>٢</sup>.

فكل واحد من الشيخ عبدالقادر الجيلانى و بايزيد الانصارى يثبت ان الله تعالى ظهر فى الانسان الكامل بصورة واضحة جليلة .

٣- قال الشيخ عبدالقادر الجيلانى ايضا :

”ياغوث الاعظم ما أكل الانسان شيئا و ما شرب و ما قعد و ما قام و ما نطق و ما صمت و ما سكت و ما توجه بشئى و ما غاب عن شئى الا أنا ساكن و متحرك فيه“<sup>٣</sup>.

و قال بايزيد الانصارى فى كتابه ”مقصود المؤمنيين“ :

١- انظر الرسالة الغوثية ، ص ٩ .

٢- انظر مقصود المومنين ، ص ١٣ .

٣- انظر الرسالة الغوثية ، ص ١٣ .

”وليس للعجب في طور المحبة اثر ولا خبر لأن المحب في حكم المحبوب محو ليس له اختيار سوى اختيار المحبوب فهو لا يتكلم الا باختياره وارادته ولا يمشى الا بارادته ولا يضحك الا باختياره ولا يبكي الا بارادته ولا يتحرك ولا يسكن باختيار نفسه“ .

فظهر من كلامها ان كل واحد منهما يرى ان الانسان آلة لا اختيار له وانما المحرك الحقيقي هو الله وحده .

وقال الشيخ عبدالقادر الجيلاني ايضا في رسالته المذكوة :

”قال : يا غوث الاعظم ! الاتحاد حال لا تعبر بلسان المقال فمن آمن به قبل و من رد الاتحاد رد الحال . و من رد الحال فقد كفر . و من اراد العبادة بعد الوصول فقد اشرك بالله العظيم“ .<sup>٢</sup>

وقال بايزيد الانصارى في هذا المعنى في كتابه ”مقصود المؤمنين“ :

”ان الانبياء والمخلصين كانوا متحدين مع الله و لم يكونوا متفرقين عنه و من يحسب الانبياء متفرقين عن الله فعليه خوف الكفر“ .<sup>٣</sup>

وقال ايضا في كتابه ”خير البيان“ :

”من اراد العبادة بعد الوصول فقد اشرك بالله العلي العظيم“ .  
و فسر عبادة الموحد بقوله :

- 
- ١- انظر مقصود المؤمنين ، ص ١٨٧ .
  - ٢- انظر الرسالة الغوثية ، ص ١٧ .
  - ٣- انظر مقصود المؤمنين ، ص ١٩٤ .

”ان اراد الموحد الطاعة بحيث الا يشرك والا يكفر فليشغل الجسم بالعبادة حتى لا يخرج الناس عن العبادة بسببه وليشغل الروح بالاوصاف الربوبية لان الربوبية هي راحة الأرواح.“

اننا عرفنا من عبادة كل واحد من الشيخ عبدالقادر الجيلاني و بايزيد الانصارى ان الانسان الكاسل يصل في سلوكه الى درجة يرى ذات الله في نفسه بل انه يصل الى مرحلة يتقدم فيها الاثنية فيرى السالك في هذه المرحلة العبادة نوعاً من الشرك .

و علمنا من عبارة بايزيد المذكورة انه لم يمنع الموحد من العبادة كما زعم مولانا عبدالقدوس في مقدمته لخير البيان<sup>٢</sup> و انه لم ينكر عن العبادة قط بل على العكس انه يبين للموحد طريقة العبادة و هي ان يشغل الموحد جسده و اعضاءه بالعبادة و ان يشغل روحه بالاوصاف الربوبية التي هي راحة الارواح والاوصاف الربوبية في نظر بايزيد هي الصفات الحميدة الحسنة والاجتناب عن الصفات الذميمة السيئة . و أظن ان كل مؤمن يختار لنفسه تلك الصفات و يرغب في الحصول عليها في كل زمان و في كل مكان . فمن الظلم ان يحكم على بايزيد الانصارى بالكفر او بأنه كان منكراً عن العبادة بمجرد قوله :

”انه يجب على الموحد ان يشغل الجسم و اعضاءه بالعبادة بينما يكون روحه مشغولاً بالاوصاف الربوبية“.

### آراء النقاد فيه :

١- اختلف النقاد في عقيدة بايزيد الدينية و طريقته الصوفية و

١- انظر خير البيان ، ص ٢٧٩ - ٢٧٧ .

٢- راجع مقدمة خير البيان لمولانا عبد القدوس ص ٩٩ .

مصدر هذا الاختلاف هو مؤلفات اخوند درويزه المعاصر لبايزيد الانصارى تلك المؤلفات التى يظهر بعد مطالعتها انه كتبها فى مخالفة بايزيد الانصارى . ذلك ان اخوند درويزه حكم على بايزيد فى كتابه "تذكرة الابرار والاشرار" بالكفر و نسب فيه الى بايزيد عقيدة تناسخ الارواح واتهمه بقتل المسلمين و سلب مالهم و اضاف اليه شرب الخمر و حل الزنا والانكار عن يوم القيامة . و خصص له فصلا مستقلا فى كتابه "مخزن الاسلام" و اتهمه فيه بالالحاد و افساد الناس و اخراجهم من الدين الاسلامى و غير ذلك من التهم . و أرى من الصواب ان اضع هنا قطعا من كلامه ليرى القارى بعينه اتهاماته الملفقة و اكاذيبه البيينة قال اخوند درويزه :

"و بعد حصوله على قدر من العلم من "سلا باينده" تلميذ ابيه سافر بايزيد مع جماعة من التجار الى سمرقند و اشترى الخيل هناك ثم توجه الى الهند و لما وصل الى مقام "جالندهر" تزوج امرأة من قوم افغان المسماة ب "شمسى" . و اجتمع ب "سلا سليمان" الملحد الذى جعله يقيم عنده بضعة أيام و جعله كافرا مطلقا و تفضل ايضا صحبة جوغيان (السحرة) و رسخت فى قلبه عقيدة تناسخ الارواح و اوتار "جوغيان" .<sup>١</sup> و قال فى موضع آخر :

"الكفر الاول لهولاء البغاة هو انهم يقولون ان الموجودات كلها هى عين ذاته تعالى و ان المخلوقات الظاهرية متحدة مع ذات الله تعالى نعوذ بالله من الكفر والالحاد"<sup>٢</sup>.

١- راجع "تذكرة الابرار والاشرار، ص ١٨٩ - ايضا: "مخزن الاسلام" ص ١٤٩ .

٢- راجع تذكرة الابرار والاشرار، ص ١٩١ - ايضا: "مخزن الاسلام" ص ١٤٩ .

و قال ايضاً :

”كان هذا اللعين المرشد المضل يدعى الألوهية كما كان يدعى النبوة . ذلك انه كتب على فص احد خاتميته : ”سبحان الملك البارى الذى ميز العالم النورى من العالم النارى بايزيد انصارى“ وقد اضاف هنا الألوهية الى نفسه و انه كتب على فص الخاتم الثانى : ”بايزيد المسكين هادى المضلين“ و اضاف هنا النبوة الى نفسه لأن هادى المضلين صفة الرسول خاتم الانبياء . ولو لقب هذا اللعين بأنه مضل المؤمنين لكان جائزاً و مناسباً لأنه كان يصرف الناس من الاحكام الشرعية كالصلوة و الصوم و الحج و الزكاة و غير ذلك . ويغريهم على ارتكاب المنهيات الشرعية كأكل الحرام و اراقة الدماء على غير حق و قطع الطريق و خطف المسلمين و فعل الزنا و جواز وطء النسوة المحرمة بغير النكاح الشرعى و شرب الخمر و حلق اللحية و سب الانبياء السالفين و اختيار العداوة مع العلم و العلماء و قتل العلماء الا تقياء و غير ذلك .“

و قال ايضاً :

”يا بنى ! لا شك فى كفر هذه الجماعة و الحادها (يقصد بايزيد و اتباعه) و ان سكان الجهل من الافغان لا عندهم عقل الدنيا ولا عقل الآخرة و الا لما شكوا فى كفرهم . و من جهل هذه الجماعة (يقصد قوم افغان) انهم رأوا باعينهم الاحوال المذكورة (يعنى احوال بايزيد و اولاده) ولكنهم بنوا فى حدودهم قبورا تنسب الى ”پير

١- راجع ”تذكرة الابرار والاشرار“ ص ٢٠٢ . ايضاً : ”مخزن الاسلام“

تاريك“ (المرشد المضل) والشيخ عمر و نورالدين و خيرالدين و كمال الدين و جلال الدين و يأمرون اتباعهم بزيارة هذه القبور و يقولون ان مدفنهم هناك نعوذ بالله من كذبهم و افتراءهم و انكارهم و جحودهم بعد شهودهم احوالهم . لعنة الله على سلف هذه الجاعة (يقصد قوم افغان) و خلفهم ، آمين يا رب العالمين“.

لقد ظهر من الكلام السابق ان اخوند درويزة تجاوز في عداوة بايزيد الانصارى حد الاعتدال اذ أنه لم يترك تهمة لم يوجهها الى بايزيد سواء كانت هذه التهمة تتعلق بالاخلاق او بالعقيدة او الحياة الاجتماعية . و اننا عرفنا من لهجة اخوند درويزه العادة انه لم يكن في نظره انسان على وجه الارض اكثر شرًا و اشد كفرًا من بايزيد الانصارى بل انه اسرف في العداوة فحكم على اولاده و اتباعه بالكفر و الالحاد ايضا .

اننا قد بحثنا عن هذا التهم التي وجهها اخوند درويزه الى بايزيد الانصارى فلم نجد لها اصلا ولا أثرا في مؤلفات بايزيد بل على العكس وجدنا في مؤلفاته انه تزوج ”بي بي شمسو“ بنت عمه الشيخ حسن في مدينة ”كافي كرم“ و انه سافر الى قندهار في مهمة تجارية ولما رجع اعتكف في البيت خمس سنوات متوالية وبدأ يدعو الناس الى التوحيد و المعرفة<sup>٢</sup> و لم نجد في مؤلفاته انه سافر الى جالندهر بعد ان غادر هذه المدينة وهو ابن سبع سنوات . ولا يستند زعم اخوند درويزه الى دليل قطعي يثبت ان بايزيد اجتمع بملا سليمان و جعله كافرا مطلقا او انه صاحب جوگيان (السحرة) و رسخت في قلبه عقيدة تناسخ الارواح اذ لا نجد في مؤلفات بايزيد شيئا يقرر هذه التهم . و قول مولانا عبدالقدوس في مقدمة خبر البيان انه يجوز ان بايزيد اجتمع بملا سليمان الذي ذكره اخوند درويزه اذ انه جاء في كتاب ”جزيرة العرب“ ل ”ج . ب . فلبى“ :

١- راجع تذكرة الابرار والاشرار ص ٢٠ .

٢- راجع صراط التوحيد ، ص ٢٠ . ايضا : حالنامه ، ص ٢٨ .



”انه حضر الى العرب جماعة اساعلية من الهند للتبليغ وكان فيهم سليمان بن حسن الهندي الذي أنشأ باسمه في اليمن ”الفرقة السلمانية“ ، مبنى على احتمال بعيد جدا انه لو كان ملا سليمان هذا شخصية تاريخية لجاء ذكره في تاريخ الهند ولبقى اثر فرقته في القارة الهندية على انه لم يحكم احد على كفر هذه الفرقة الموجودة في اليمن حسب هذه الرواية كما زعم اخوند درويزه .

اما اتهام اخوند درويزه ان بايزيد كان يرى الموجودات كلها متحدة مع ذات الله تعالى فهذه هي مسألة وحدة الوجود التي سبقه فيها ابن عربي و بايزيد البسطامي والشيخ عبدالقادر الجيلاني ولم يحكم اخوند درويزه بكفرهم فما ذنب بايزيد وحده حتى يحكم عليه بالكفر على ان بايزيد لم يأت بقول يخالف الدين الاسلامي وكل ما هنالك هو انه قال : فينبغي للعارف الواجد ان يرى بعين القلب مع كل مخلوق ذات الخالق ومع كل عابد ذات المعبود ومع كل مرزوق ذات الرازق ومع كل مربوب ذات الرب ومع كل عدد ذات الاحد<sup>٢</sup>، وهذا هو حقيقة ثابتة عند اغلب الصوفية .

و أما إتهام اخوند درويزه ان بايزيد كان يدعى الالهوية والنبوة لانه كتب على فص احد خاتميته : ”سبحان الملك الباري الذي ميز العالم النوري من العالم الناري بايزيد الانصاري“ و على فص الخاتم الثاني : ”بايزيد المسكين هادي المضلين“ . فهذا اتهام لا يسلمه من له ادنى معرفة بالتاريخ اذ ان كثيرا من الخلفاء والامراء كانوا يكتبون على الخواتيم او الدراهم آيات قرآنية او كلمات اخرى ثم يكتبون بعدها اسماءهم للتبرك فقط . فاذا كتب بايزيد على خاتميته الكلمات المذكورة

١- راجع مقدمة ”خير البيان“ لمولانا عبدالقدوس ، ص ٨٨ .

٢- انظر مقصود المؤمنين ، ص ١٧٧ .

فليس معنى هذا انه كان يدعى الالوهية والنبوة وكيف يمكن للانسان ان يكون في وقت واحد الهاً و رسولاً .

و انما هي كلمات كتبها بايزيد للتبرك فقط على اننا لم نجد ذكر هذين الخاتمين لا في مؤلفات بايزيد ولا في حالنامة ، فلا يبعد ان هذا من افتراء اخوند درويزه على بايزيد كما افترى عليه شرب الخمر و فعل الزنا و جواز وطء النسوة المحرمة بغير الجواز الشرعى .

و اما حكم اخوند درويزه على بايزيد و اولاده واتباعه بالكفر فهذا يحتاج الى دليل قوى واثبات قطعى في مؤلفاته بان بايزيد و اولاده و اتباعه امتنعوا حقا عن الامور الدينية كالصلوة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك و انهم كانوا يرتكبون فعلا المنهيات الشرعية كأكل الحرام و اراقة الدماء بغير حق و فعل الزنا و شرب الخمر وغير ذلك . و الحق اننا لا نعثر على شىء من هذا النوع في كتب بايزيد الانصارى .

لذلك نقول ان سبب هذه العداوة التي احقرت قلب اخوند درويزه غيظا و علة ذلك الكره الشديد الذى جعل اخوند درويزه يكتبه في مخالفة بايزيد و يتهمه فيها باشياء لا اساس لها البتة هو التعصب والحسد و صرف الناس منه الى نفسه ذلك ان بايزيد الانصارى كان يقوم بدعوة الناس الى متابعة المرشد الكامل عنده خير الداعى الى الحق والذكر والعبادة و انه كان يمنعهم من اتباع المرشد الناقص ولم يكن المرشد الناقص في نظر بايزيد غير الداعى الى المعصية و الى حب الدنيا و ترك العبادة والذكر — وكان هذا امرا ضروريا لان اكثر الناس في ذلك العهد و خاصة اهل الجبال كانوا جهلاء لا يعرفون من امور الدين الا قليلا و كانوا في حاجة ماسة الى اتباع المرشد الكامل ليهديهم الى طريق الصواب و يقودهم الى معرفة الحق — و لما كان بايزيد مقبولا في الناس و محبوبا بين اتباعه حسده اخوند بذلك وكره من الناس اقبالهم عليه فاراد ان يحط من شأنه وان يحقره في نظر العامة

فلم يجد الى ذلك طريقا أصوب و وسيلة أنجح من ان يتهمه في دينه و عقيدته حتى ينصرف عنه الناس و يقبلوا عليه و على شيخه السيد على الترمذى . و لا يبعد ان بعض روساء القبائل — الذين لم يستريحوا الى بايزيد لأن منافسيهم في زعامة تلك القبائل كانوا من اتباع بايزيد — شجعوا اخوند درويزه بعبادة بايزيد الانصارى واتهامه في الدين و ان حاكم بشاور ”معصوم خان“ من قبل ميرزا محمد حكيم الحاكم العام لكابل و بشاور كان يستحسن من اخوند درويزه عداوته لبايزيد الانصارى و يؤيد هذا الرأى ان اخوند درويزه ذكر ”معصوم خان“ ”باسم الغازى“ و ”حامى الاسلام“ لالشئى غير انه شن الهجوم على بايزيد الانصارى و اتباعه بدون اى مبرر شرعى كما ذكرت هذا في الحديث عن حربه مع بايزيد .

### دبستان المذاهب :

قال صاحب دبستان المذاهب :

”كان بايزيد يدعى النبوة و يأمر الناس بالرياضة النفسية و بترك الصلوة — كان يقول ان الجهة المعينة قد رفعت فاينا تولوا فثم وجه الله . و كان يقول ان الغسل بالماء ليس ضروريا لان الذى وصل الى الحق قد طهر بدنه ذلك ان العناصر الاربعة طاهرة . و كل من لم يعرف الله و نفسه ليس انسانا . فاذا كان مؤذيا حكمه حكم الذئب و الدب و الحية و العقرب . قال النبى عليه السلام : ”اقتل المؤذى قبل الايذاء“ . و اذا كان صالحا و قائما بالصلوة فيحكمه حكم البقرة و الشاة لايجوز قتله لذلك امر بقتل الذين خالفوا معرفة النفس لانهم حيوانات كقوله تعالى : ”اولئك كالانعام بل هم اضل<sup>٢</sup>“ .

١- البقره ٢ : ١١٥ .

٢- الاعراف ٧ : ١٧٩ .

و قال : كل من لم يعرف النفس ولم يكن عنده علم عن الحياة الابدية فهو ميت . ومال الميت — الذى يكون ورثته ايضا موتى — للاحياء لذلك امر بقتل الجهال . واذا وجد الهندوكى عارفا فضله على المسلم . كان هو و اولاده قطاع الطريق يأخذون اموال المسلمين وغيرهم و يجمعون خمسها فى بيت الهال ثم يصرفونه على المستحقين وقت الضرورة . كان هو و اولاده يجتنبون عن الزنا و عن الاعمال الشائنة و كانوا يحترزون عن أخذ مال الموحدين والظلم على الذين لا يشركون بالله شيئاً .

وله مؤلفات كثيرة بالعربية والفارسية والهندية والافغانية . و "مقصود المؤمنين" بالعربى يقال ان الله حدثه دون وساطة جبريل وله كتاب يسمى "خير البيان" و هو باربع لغات اولا بالعربية ثانيا الفارسية ثالثا بالهندية رابعا بالبشتو يعنى اللغة الافغانية فقد ادى بايزيد مقصدا واحدا باربع لغات . و هو خطاب من الله تعالى لبايزيد و هم يحسبون هذا الكتاب صحيفة الهية وله كتاب "حالنامه" الذى كتب فيه احواله . والغريب انه كان اميا ولكنه كان يبين معنى القرآن ويكشف عن الحقائق الثابتة التى تحير منها اصحاب الفكر . يقال انه امر بقتل من لا يعرف الله . امره الحق ثلاث مرات بأن يأخذ السيف و لما كرر له حكم الله اضطر ان يقوم بالجهاد و كان معاصرا لحضرة ميرزا محمد حكيم بن حضرة الملك هاياون .

سمع الراقم من ميرزا شاه محمد الملقب بغزنى خان انه قال : قوى "ميان روشن" فى تسعمائة و تسع و اربعين و شاع مذهبه . رأى والدى "شاه بيك خان ارغون" الملقب بخان دوران ميان بايزيد وكان يقول : "احضر بايزيد قبل خروجه (على الدولة) فى مجلس ميرزا محمد حكيم و عجز العلماء من مناظرته فلم يكن بد من ان يؤذن له بالانصراف .

و قبر بايزيد فى "بته پور" الواقع فى المنطقة الجبلية التى يسكن

فيها قوم افغان<sup>١</sup> .

اننا بعد مطالعة كتب بايزيد و دراسة حياته نقدر ان نقول ان هذه التهم لا تمت بصلة الى بايزيد الانصارى و اولاده بل انها مبنية على التعصب والاختلاف السياسى بين الفرقة الروشانية والحكومة المغولية ذلك ان مؤلف دبستان المذاهب كان عاملا من عمال الحكومة المغولية كما يظهر ذلك من كتابه "دبستان المذاهب" حيث يذكر فيه الملك اكبر بلقب "عرش آشياني" (مقامه الرفيع هو العرش) فما كان ينتظر منه الا ان يحط من شأن بايزيد واتباعه في نظر العامة وان ينسب اليه تهما لا اساس لها ولا اثر لها في مؤلفات بايزيد قط . على ان كتب اخوند درويزه التى كتبها في مخالفة بايزيد قد انتشرت في ذلك الوقت فلايبعد ان مؤلف دبستان المذاهب قد درس هذه الكتب وانه سمع الدعاة الكاذبين مخالفى بايزيد انه يترك الصلوة و يأمر بقتل الجهاد ويفضل الهندوكى العارف على المسلم وغيرها من التهم .

اما اتهامه ان بايزيد و اولاده كانوا يقومون بالنهب والسلب فهو غير صحيح ذلك ان بايزيد لم يأخذ مال احد غصبا و لا يمكن لرجل متدين مقبول فى الناس لا لشيء غير تدينه ان يرتكب مثل هذه الاعمال و كل ما هناك هو انه لما شن حكام المغول الهجوم عليه و اجبروه بأخذ السيف بدأ هو ايضا يأخذ منهم الاموال فى المعارك والحروب الدائرة بين الفريقين ذلك ان حكام المغول كانوا على غير حق فى الحرب معه لذلك أباح اموالهم الماخوذة فى الحرب .

الغريب هو ان اخوند درويزه قال ان بايزيد احل الزنا و وطء النساء المحرمات بدون النكاح الشرعى بينما نجد هنا مؤلف "دبستان المذاهب" يذكر ان بايزيد و اولاده يحتنبون الزنا والاخلاق غير

١- راجع دبستان المذاهب ، ص ٣٠٨ .

اللائقة . و هذا دليل قاطع على ان التهم الموجهة الى بايزيد و اولاده لم تكن مبنية على الحقائق الثابتة وانما كانت دعاية كاذبة محضة .

### تاريخ فرشته :

قال صاحب تاريخ فرشته : بعث الملك اكبر كنور مان سنكها بن راجا بهگوان داس لمعاينة الفرقة الروشانية الافغانية التي اشتهرت بالكفر والزندقة في الآفاق وملخص احوال هذه الفرقة هو ان فقيرا هنديا الذي سمى نفسه بالمرشد المهادي ذهب الى افغان و عاش فيهم . جعل هذا الفقير القوم الافغاني من اتباعه . و لما توفي دخل ابنه جلاله الذي بلغ من العمر اربع عشرة سنة - في خدمة الملك (اكبر) وبعد مدة قليلة هرب جلاله واتصل بالافاغنة و ضم الى حلقتهم جماعة كبيرة و سد الطريق بين كابل والمهند .

والظاهر من عبارة صاحب تاريخ فرشته انه كان يجهل بايزيد و اولاده و لم يكن عنده علم صحيح عن احوال هذه الفرقة اذ ان بايزيد لم يكن فقيرا هنديا كما زعم صاحب تاريخ فرشته بل انه ولد في جالندر و ذهب الى "كافي كرم" - وهو ابن سبع سنوات اذ ذاك - ووطنه الاصلى لذلك لا يصح الاعتماد على كلام مؤلف تاريخ فرشته لان غير موثوق به بل هو مبني فيما أرى على الدعاية التي كانت شائعة في ذلك الوقت ضد بايزيد و اولاده .

### مآثر الامراء :

قال صاحب "مآثر الامراء" :

"كان اله داد المشتهر برشيد خان بن جلال الدين الروشنائي

١- راجع ترجمة مولوى محمد فدا على صاحب لتاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص

الذي رفع علم الزعامة في القوم الافغانى والذي أهاج زنايير الفساد .  
و كانت معارك كابل منذ عهد اكبر الى عهد شاهجهان لاستئصال هذه  
الفرقة وقد سميت هذه الفرقة منذ عهد اكبر بالفرقة المضلة . ومن  
الضرورى ذكر اسلاف هؤلاء الناس بالاختصار . كان جلال الدين  
المشتهر بجلاله بن بايزيد الذى اشتهر بالمرشد الهادى او المرشد  
المضل و يتصل نسب بايزيد بن عبدالله فى الجد السابع بالشيخ سراج  
الدين الانصارى — . ولد بايزيد — قبل وصول جنّة المقام (بابر) الى  
الهند — فى بلدة جالندهر .

و بعد ان وصل الى درجة الكمال رأى تسلط المغول واضحا جليا  
فذهب مع امه — التى كانت من نفس قبيلة والده — الى كاني كرم  
الواقعة فى المنطقة الجبلية حيث كان يقيم ابوه . ذاعت شهرته فى سنة  
١٥٤٢/٥٩٤٩م و ضم الى حلقتة بعد اظهار الخوارق والكرامات قبائل  
الافغان . و ألف كتابه القيم ”خير البيان“ فى اثبات وحدة الوجود باللغة  
البختونية يقال انه مخطوطة واحدة تشتمل على الاقوال المنتخبة لكبار  
السلف . و حكم عليه بعض الجماعة بالالحد والزندقة<sup>١</sup> .

ان الباحث بعد مطالعة مؤلفاته و دراسة حياته ليرى واضحا ان  
زعم صاحب ”مآثر الامراء“ ان بايزيد ذهب بعد حصوله على الكمال  
الى القوم الافغانى ليقوم بالثورة هناك لا يستند الى حقيقة ذلك ان  
بايزيد نشأ و تربى فى مدينة ”كاني كرم“ المذكورة انه لم يقم هو و  
اولاده بأية ثورة ضد الحكومة المغولية الا بعد ان أرغمتهم الحكومة  
المغولية على ذلك .

١- راجع مآثر الامراء ، ج ٢ ، ص . ايضا : تذكرة صوفياى مرحد  
لاعجاز الحق قدوسى ، ص ١٩٧ .

قال مولانا عبدالقدوس في مقدمته لخير البيان :

”لم يدع بايزيد النبوة ولا نزول الوحي عليه ولكنه لم يترك الفرق بين دعوته و بين دعوة الرسول لذلك كانت دعوته وبالا كبيرا“ . وقال ايضا :

”ان اثر العقيدة الاسماعلية على تعاليم بايزيد هو انه يرى من اللازم متابعة المرشد الكامل كما تحسب الفرقة الاسماعلية متابعة الامام ضرورية للايمان“<sup>٢</sup> .

وقال ايضا :

”لم تكن عداوة اخوند درويزه لبايزيد بسبب المغول بل الحق ان بايزيد واكبر كانا متقاربين في المذهب لذلك عاقب اكبر قبيلة يوسف زئي استرضاء لجلال الدين (بن بايزيد)<sup>٣</sup>“ .

يظهر ان مولانا عبدالقدوس لم يتعب النفس في فهم كلام بايزيد ذلك ان بايزيد صرح غير مرة في ”صراط التوحيد“ و ”حالنامه“ انه يدعو الناس الى الدعوة التي دعا النبي عليه السلام اليها ولو فرق بين دعوته وبين دعوة النبي عليه السلام لكانت دعوته مخالفة لدعوة الاسلام و ما كان يريد بايزيد ذلك .

وكذلك يوجد في كلام مولانا عبدالقدوس اضطراب و هو انه يثبت في عقيدة بايزيد اثر الفرقة الاسماعلية مرة و ينسب اليه مرة اخرى عقيدة اكبر الذي أنشأ مذهبها المهيأ يخالف الاسلام اذن فان الفرق بين العقيدتين شاسع جدا .

- 
- ١- انظر مقدمة خير البيان لمولانا عبدالقدوس ، ص ٩١ .
  - ٢- انظر مقدمة خير البيان لمولانا عبدالقدوس ، ص ٨٨ .
  - ٣- انظر مقدمة خير البيان لمولانا عبدالقدوس ، ص ٩١ .



على ان الحاكم في بشاور لم يكن تابعا لا كبر حتى نقول ان  
 عداوة اخوند درويزه لبايزيد لا تقوم على سياسة لائن اكبر و بايزيد  
 كانا متقاربين في العقيدة بل كان معصوم خان حاكم بشاور الذي  
 شن الهجوم على بايزيد عدة مرات تابعا لميرزا محمد حكيم الحاكم  
 المستقل لكابل و بشاور فلا يبعد ان اخوند درويزه قام بعداوة  
 بايزيد باشارة معصوم خان . ولو لم تكن عداوة اخوند درويزه سياسية  
 فلم لم يكتب الكتاب في مخالفة مذهب اكبر كما كتب في مخالفة  
 الدعوة الروشانية .

قال مولستوارت الفنستون (Mounstuart Elphinstone) في  
 كتابه "تاريخ الهند" :

"النزاع القائم الذي بدأ بصورة تعصبية عاطفية قد انفجر  
 قبل سنوات عدة في هذه البقعة التي يسكنها الافغان . ادعى  
 شخص يقال له بايزيد النبوة و ترك العمل على القرآن  
 و بدأ يعلم الناس انه لا يوجد شيء سوى الله . انه تعالى  
 يوجد في كل مكان و هو جوهر للصور كلها . ان الله يحتقر  
 كل العبادة و يرفض كل التقشف والتواضع و لكنه امر  
 بالاطاعة الوطيدة لنبيه الذي هو المظهر الكامل لله تعالى .  
 و اباح للمؤمنين الاحتلال على ارض الكفار و أخذ اموالهم  
 و وعد المؤمنين بخلافة الارض كلها . ثم كون بايزيد فرقة  
 عظيمة التي سميت فيما بعد بالفرقة الروشانية و أقام لنفسه  
 سلطة في جبال سليمان و خيبر الى جانب سلطته على القبائل  
 المجاورة . و كان ناجحا جدا الى درجة ان الحكومة اضطرت  
 ان تقوم بمجهود لقمعه ."

١- راجع تاريخ الهند لمون ستوارت الفنستون ، ص ٥١٧ (١٨٨٩م)  
 طبع في لندن .

والظاهر ان مؤلفات بايزيد لم تصل الى الفنستون لانها كانت  
مختفية في ذلك الوقت و انه جمع المعلومات من كتب اخوند درويزه  
والمؤرخين الذين كتبوا تاريخ المغول و قد سبق ذكرهم .

قال ملا عبدالقادر بدايوني :

”قبل خمس و عشرين سنة ذهب من الهند جندي الى قبائل  
”بتان“ و سمي نفسه بالمرشد الهادي و جعل عددا كبيرا  
من جهلاء ”بتان“ تابعين له و نشر فيهم الضلال والاحاد .  
و كتب كتابه ”خير البيان“ الذي وضع فيه عقائده الفاسدة  
ثم مات هناك .“

والظاهر من عبارة ملا عبدالقادر بدايوني انه لم يدرس بايزيد  
الانصارى اذ لم يكن بايزيد في وقت من الاوقات جنديا فكلام عبدالقادر  
بدايوني غير موثوق به .

و قد جاء ذكر احوال بايزيد الانصارى والفرقة الروشانية في  
كتاب ”القواعد للغة البختونية“ ل ”سى - ايچ - جى راورثى“ و في كتاب  
”الافغان“ ل ”كيرو“ و في ”البحوث الشرقية“ (Asiatic Researches)  
ل ”ليدن“ ج ١١ ص ٣٦٣ و في دائرة المعارف الاسلامية ج ١  
ص ١١٢١ - ١١٢٤ للدكتور محمد شفيح و لكنى لم اقتبس من كتبهم  
هنا لان مصدر آراءهم هو مؤلفات اخوند درويزه و مؤرخى المغول  
و لم تصل اليهم مؤلفات بايزيد حتى يتاح لهم ان يوازنوا بين التهم  
الموجهة الى بايزيد و بين اقواله المدونة في مؤلفانه ليكونوا منصفين  
في حكمهم على بايزيد و اولاده و اتباعه و اظن ان هؤلاء الكتاب لو  
اطلعوا على مؤلفات بايزيد لغيروا آراءهم في حقه . و احب ان اقدم

١- راجع منتخب التواريخ لملا عبدالقادر بدايوني ترجمه مجد احمد فاروقى

بعد ذلك آراء الكتاب الذين كان بايزيد في نظرهم رجلا متقيا و  
مصلحا كبيرا و مبلغا حقا .

قال عبدالشكور مرتب "صراط التوحيد" :

"يرى محققو القرن العشرين و فضلاؤه ان بايزيد الانصارى  
(الذى اشتهر بالمرشد المنور والمرشد المضل) كان في الحق  
مبلغا مخلصا و مرشدا حقا و سياسيا بارعا و اديبا كبيرا .  
و ان حكم اخوند درويزه عليه بالالحداد و الزندقة كان مبنيا  
على العداوة الشخصية و الاختلاف السياسى "

قال "دهرمه بهانو" في محاضرة القيت في المؤتمر التاريخى المنعقد  
بكراتشى سنة ١٩٥١ م "فكرة خاطئة لمؤرخى المغول" :

"أخطأ مورخو المغول في تسميتهم الفرقة الروشانية بالفرقة  
الملحدة لأن الفرقة الروشانية بقيت فرقة مسلمة طول مدة  
هذه الحركة مع انها لم تكن تتمسك بالدين بطريقة تعصبية .  
كتب عبدالقادر بدايونى و نظام الدين ان بايزيد قام بنشر  
الالحداد ولكن مع الأئسف لم يأت احد منها بالأدلة لرأيه .  
و لم يصرح بل لم يشر اى واحد منها ان بايزيد كان  
غير مسلم . و نحن نعلم حق العلم ان بايزيد لم يترك  
الصلوة المفروضة كما انه لم يترك مبادئ الاسلام الاساسية  
بل الحق انه بقى مسلما صادقا طول حياته و انه كان يقوم  
باداء الشعائر الدينية التى هى ضرورية للمسلم . انما اراد  
ان يظهر الاسلام من التعصب الدينى و ان يجعله مقبولا  
في الناس . و حيث كان بايزيد يريد ان يجعل الاسلام

أكثر شهرة بين الذين لا يؤمنون به كما كان يريد ان يخلصه من التعصب الدينى فلا بد لنا من ان نسلم انه كان غير متعصب و كانت بصيرته أكثر من سائر العلماء و زعماء الدين المعاصرين له .<sup>١</sup>“

قال اعجاز الحق قدوسى فى كتابه ”تذكرة صوفياى سرحد“ بعد ان بين اقوال المؤرخين فى حق بايزيد :

”هذه هى آراء مؤرخى الهند فى حق بايزيد الموافقة والمخالفة . و مع آرائهم تلك فاننا نعتقد انه كان انسانا مغلوب الحال و قد وصل بسبب غلبة الحال عليه الى مرحلة اصبح فيها هدفا لطعن الناس . و ان حالة الجذب هذه قد اوصلته الى مقام انه لو تقدم منه قليلا لاتصل حدوده بحدود الكفر<sup>٢</sup>“.

قال الشيخ فريد بكهرى صاحب ”ذخيرة الخواين“ فى حق بايزيد : ”ذهب بايزيد الى الافاغنة و جعل أكثرهم من اتباعه و كل من رأى صورته احبه و ألف باللغة البختونية كتاب ”خير البيان“ و نشره فيهم و هو كتاب قيم على مسألة وحدة الوجود و استدل فيه بالقرآن والاحاديث و بأقوال السلف . والحق انه كتاب نادر لو نظر فيه القارى بعين الانصاف و تعمق فيه لفاز بالمطلوب . و كل من نظر اليه بايزيد جعله مطيعا و اوصله الى مقصوده . اغرم به اهل الجاهل الذين لهم قلوب صافية بسبب كشفه و كراماته و بقوا

١- راجع مجموعة محاضرات المؤتمر التاريخى المنعقد بكراتشى سنة

٠ ١٩٥١ م

٢- راجع تذكرة صوفياى سرحد لاعجاز الحق قدوسى ، ص ١٧٩ .

الى آخر حياتهم ثابتين على العبادة و على اشاعة سنة النبي .  
 كان بايزيد يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و جعل  
 عددا غير معدود من الافغانيين يقومون بالدين النبوى و  
 اوصلهم الى الحق . و بقى اثره الحسن الى يومنا هذا .  
 و لما استجاب الى داعى الموت ترك وراءه خلفاءه  
 الموحدين الذين كان كل واحد منهم عباد الاسلام ، يستمد  
 الناس منهم الهداية حتى الآن .“

### خلاصة القول :

هكذا انقسم المؤرخون على بايزيد . رأى بعضهم انه كان رجلا  
 شريرا مفسدا يضل الناس و ينشر الفساد فيهم و رأى البعض الآخر انه  
 كان رجلا متقيا مصلحا يهدى الناس الى طريق الحق و يقودهم الى  
 معرفة ذات الله تعالى و يأمرهم بالرياضة و الذكر و العبادة .

والحق ان بايزيد كان رجلا متقيا ورعا طول حياته و كان اولاده  
 فيها بعد متمسكين بالدين و لم تكن الدعوة الروشانية الانهضة روحية  
 ثقافية و يقظة قومية قوامها الحرية و عزة النفس .

لم يكن بايزيد يمنع الناس من الامور الشرعية و الا لما بين تلك  
 الامور الشرعية فى مؤلفاته بل انه حرض المؤمنين على اتباع الشريعة  
 و امر اتباعه بالاكتفوا بالقيام بامور الشرع الظاهرية و نصحهم بأن  
 يقوموا الى جانب محافظتهم على امور الشرع بتزكية الجسد و تصفية  
 القلب و تنقية الروح ليكونوا مؤمنين حقا .

و قد وضع بايزيد للرياضة النفسية درجات ثمانية جاء ذكرها فى جميع

١- راجع تذكرة صوفيا ئى سرحد لاعجاز الحق قدوسى ، ص ١٦٥ .  
 ايضا : ذخيرة الخوانين للشيخ فريد بكهرى .

مؤلفاته و رأى ان الانسان اذا وصل الى الدرجة الاخيرة وهى السكونة فى نظره فهو يسكن عن طلب كل شىء كان ، بل هو يحصل على سكينته الله المذكورة فى قوله تعالى : ”فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزهم كلمة التقوى“ . اننا بعد دراسة بايزيد نرى ان مذهبه الصوفى هو خليط من مذهب بايزيد البسطامى وابن الفارض اللذين رأيا ان الكائنات كلها فانية فى ذاته تعالى لانه هو الموجود الحقيقى وهو الواجب الذاتى ومذهب ابن عربى الذى رأى ان الخالق والخلق واحد لا اختلاف بينهما وكل ما نراه من الاختلاف والتغير انما هو اختلاف اعتبارى وتغير صورى فقط لا حقيقة له ولا اصل له وقد انشد فى هذا المعنى :

”فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا  
وليس خلقاً بهذا الوجه فادكروا“

لا يوجد فى مؤلفات بايزيد شىء يدل على انه ترك الصلوة والصوم والزكاة والحج او انكرها على اتباعه بل ان معظم كتبه تدور حول هذه الفرائض ويشرح فى اكبر جزء منها تلك الواجبات . لذلك نقدر ان نقول : ان بايزيد كان رجلاً متقياً ورعاً وهب حياته لدعوة الناس الى الحق و هدايتهم الى المعرفة والذكر والعبادة لم تمنعه من ذلك معارضة العلماء و القضاة و مشايخ الطريق الذين وجدوه حائلاً بينهم وبين خداعهم العامة . فكانت دعوته فضلاً كبيراً على هذه المنطقة الجبلية خاصة و على القارة الهندية عامة حيث وجه الناس الى عبادة الله تعالى و شغلهم بذكر الله والفكر فى ذاته تعالى .

(فى الأعداد المقبلة سنو اصل نشر نص مقصود المؤمنين  
ان شاء الله - التحرير) -

